

ركائز الانتصار والتمكين في معركة الأرك الكبرى 591هـ / 1195م

*The pillars of victory and empowerment
in the Great Battle of Al-Arc 591H/ 1195D*

1- جليد خولة*، المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة (الجزائر)

khaoula.djellid@ensb.dz

2- أ. نوار نسيم، المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة (الجزائر)

nouar.nassim@ensb.dz

تاريخ النشر: 2024 / 12 / 17

تاريخ القبول: 2024 / 11 / 18

تاريخ الاستلام: 2024 / 06 / 25

ملخص:

يتضمن هذا المقال الحديث عن ركائز الانتصار والتفوق في معركة الأرك الكبرى، التي تعتبر من أهم المعارك في التاريخ الإسلامي بالأندلس، قادها الخليفة الموحي أبو يوسف يعقوب المنصور ضد قوات الملك ألفونسو الثامن ملك قشتالة لحماية الوجود الإسلامي في الأندلس من الخطر النصراني، ويعود النصر العظيم الذي حققه الموحدين إلى جملة من الركائز والعوامل المتكاملة من القيادة الحكيمة والتخطيط الاستراتيجي إلى التشجيع المستمر واستخدام أساليب التمويه والخدع العسكرية، إضافة إلى التلاحم والشورى، فكان نتيجة هذه العوامل مجتمعة أن حقق المسلمون نصرا كبيرا في معركة الأرك، مما عزز قوتهم وهيمتهم في الأندلس لفترة من الزمن.

كلمات مفتاحية: معركة الأرك؛ أبو يوسف يعقوب المنصور؛ ألفونسو الثامن؛ الأندلس.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

This article includes talk about the pillars of victory and superiority in the Great Battle of Al-Arc, which is considered one of the most important battles in Islamic history in Andalusia. It was led by the Almohad Caliph Abu Yusuf Yaqub al-Mansur against the forces of King Alfonso VIII of Castile to protect the Islamic presence in Andalusia from the Christian threat. The great victory achieved by the Almohads was due to a number of pillars and integrated factors, from wise leadership and strategic planning to continuous encouragement and the use of camouflage methods and military tricks, in addition to cohesion and consultation. The result of these combined factors was that the Muslims achieved a great victory in the Battle of Al-Arc, which strengthened their strength. And their dominance In Andalusia for a period of time.

Keywords: The Battle of of Al-Arc; Abu yusuf yaqub Al Mansur; Alfonso VIII; Al-Andalus.

مقدمة:

دخلت الدولة الموحدية بعد وفاة أبو يعقوب يوسف، عصرها الذهبي تحت لواء ابنه يعقوب المنصور ثالث الخلفاء الموحدين، وأقوى شخصية في تاريخ الدولة الموحدية، حيث تمكن بعزمه وقوة إيمانه وحكمته من تحقيق التطور السياسي والثقافي والعلمي، وتوحيد بلاد المغرب تحت سيادته والقضاء على خصومها، كما تمكن بكفاءته وشجاعته من قيادة جيوش جرارة لنصرة الأندلسيين على أعدائهم النصاري، محققا بذلك أعظم انتصارا في تاريخ انتصارات الإسلام، وهو انتصاره في معركة الأرك، وقد أعتبر المؤرخين أن انتصار الموحدين في هذه المعركة، يتفوق على انتصار المرابطين في معركة الزلاقة، إذأ هل كان نصر الأرك مستحقاً؟ وماهي أهم ركائز هذا الانتصار؟

أولاً: الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور في الأندلس

1. توليه الحكم:

تسلم عرش الدولة الموحدية بعد وفاة يوسف بن عبد المؤمن ابنه يعقوب¹، ودعي بأمير المؤمنين كأبيه وجده²، ولقب بالمنصور³، وكان له ابن يدعى يوسف، فعرف بأبي يوسف يعقوب المنصور الموحد⁴، ولد في ذي الحجة سنة 554هـ/1159م⁵، وهناك من يقول في سنة 555هـ/1160م، بقصر جده عبد المؤمن بمدينة مراكش⁶، وأمه أم ولد رومية يقال لها سحر⁷.

وقد وصفه ابن العماد (ت 1089هـ/1678م) في قوله "كان صافي اللون، جميلاً، أعين، أفوه، أقي، أكحل، مستدير اللحية، ضخماً، جهوري الصوت، جزل الألفاظ، كثير الإصابة بالظن والفراسة"⁸، لقد كان المنصور ملكاً عادلاً جوداً⁹، عالماً بالحديث والفقه واللغة، محباً للعلماء معظماً لهم¹⁰، وكان شجاعاً مقداماً¹¹، كما قيل فيه "هو جوهرة عقد الموحدين، وأفضلهم تمسكاً بالدين، محق الملاهي وشمر للجهاد

- 1- الحرضي (يحيى بن أبي بكر بن محمد، ت 893هـ/1488م): غربال الزمان في وفيات الأعيان، تح: محمد ناجي زعي العمر، ج1، مطبعة زيد بن ثابت، سوريا، 1985م، ص 480، 481.
- 2- العليعي (أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد، ت 928هـ/1522م): التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، إشراف: نور الدين طالب، مج3، دار النوادر، ط1، سوريا، 2011م، ص 356.
- 3- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت 821هـ/1418م): مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، ج2، عالم الكتب، لبنان، دت، ص 73.
- 4- راغب السرجاني: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ج1، مؤسسة اقرأ، ط1، مصر، 2011م، ص 577.
- 5- الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، ت 883هـ/1478م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966م، ص 15.
- 6- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله، ت 726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، المغرب، 1972م، ص 216.
- 7- الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت 748هـ/1347م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، مج12، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 2003م، ص 213.
- 8- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، ت 1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ج6، دار ابن كثير، ط1، سوريا، 1986م، ص 525.
- 9- العليعي، المصدر نفسه، مج3، ص 357.
- 10- المكناسي (أحمد بن القاضي، ت 960هـ/1025م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، المغرب، 1973م، ص 555.
- 11- ابن العماد، المصدر نفسه، مج3، ص 357.

وأقام رسوم الدين، أظهر مالم يظهره أحد قبله، وشدد في إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمسة¹. كما ولي يعقوب المنصور وزارة أبيه²، فبحث في أحوال الدولة والرعية بحثاً دقيقاً، واطلع على أحوال العمال والولاة ومقاصدهم، فمكنه ذلك من معرفة خبايا الأمور واكتساب خبرة في المجال الإداري والعسكري والسياسي³، وقد بوبع له بالخلافة يوم السبت 18 ربيع الآخر 580هـ/ 29 جويلية 1184م، عشية وفاة والده من طرف إخوانه وكبار مشايخ الموحدين وقد حدث أثناء انسحاب جيش الموحدين من حصار شنترين، وسميت بالبيعة الخاصة وعندما وصل الجيش إلى إشبيلية تمت مبايعته مبايعة عامة، يوم الجمعة جمادى الأولى/ 10 أوت من نفس السنة⁴.

وهو أول من تبرأ من أقوال ابن تومرت في باب العقائد لا سيما القول بالعصمة⁵، وكذا كان أول من خط العلامة السلطانية بيده من ملوك الموحدين⁶، وكان رسم خاتمه "على الله توكلت"⁷. اضطر المنصور بعد توليه الخلافة مباشرة تقريبا، إلى أن يواجه خطر الثورات والتمردات التي قامت ضده⁸، وفي مقدمتها تمرد بنى غانية⁹ ومهاجمتهم لبجاية وتوغلهم في المغرب الأوسط وإفريقية، التي كادت

- 1- محمد بن محمد المشرفي: الحلل الجبهة في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، تج: إدريس بوهليلة، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الاجتماعية، ط1، المغرب، 2005م، ص239.
- 2- الصفدي(أبو الصفاء خليل بن أبيك، ت 724هـ/ 1324م): الوافي بالوفيات، تج: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، مج29، دار إحياء التراث، لبنان، 2000م، ص6.
- 3- السلاوي(أبو العباس أحمد بن خالد ت 1314هـ/ 1897م): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تج: جعفر الناصري، محمد الناصري، ج2، دار الكتاب، المغرب، 1954م، ص177.
- 4- غير أي وجدت ابن أبي زرع يقول بأن البيعة الخاصة كانت في يوم الأحد 19 ربيع الآخر 580هـ/ 30 يوليو 1184م، أما البيعة العامة فكانت يوم السبت 2 جمادى الأولى من نفس السنة. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص216، 217.
- 5- محمد زنيير: المغرب في العصر الوسيط، كلية الآداب، ط1، المغرب، 1999م، ص237.
- 6- المكناسي، المصدر السابق، ص555.
- 7- العباس بن إبراهيم السَّمْلالي: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، تج: عبد الوهاب ابن منصور، ج10، المطبعة الملكية، ط2، المغرب، 1993م، ص264.
- 8- لي تورنو روجر: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تر: أمين الطيبي، شركة المدارس، ط2، المغرب، 1998م، ص72.
- 9- أنظر: ابن الأثير(أبو الحسن علي بن محمد، ت 630هـ/ 1233م): الكامل في التاريخ، تج: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، د ت، ص1789؛ ابن عذاري(أبو عبد الله أحمد بن محمد، ت نحو 690هـ/ 1295م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب -قسم الموحدين-، تج: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الثقافة، ط1، المغرب، 1985م، ص177؛ ابن خلدون(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، ت 808هـ/ 1406م): تاريخ ابن خلدون المسعى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تج: خليل شحادة، ج6، دار الفكر، سوريا، 2000م، ص393.

أن تقوض من صرح دولة الموحدين، الأمر الذي أخر عبوره إلى الأندلس واستئناف الجهاد ضد المماليك النصرانية¹.

2. الجواز الأول إلى الأندلس:

في الوقت الذي انشغل فيه المنصور بإعادة الوحدة المغربية، ومغامرات بني غانية²، ومؤامرات الخوارج عليه³، تفاقمت هجمات النصارى على أراضي المسلمين في الأندلس، ففي غرب الأندلس استغل ملك البرتغال سانشو الأول وجود الجيوش الصليبية من الألمان والإنجليز القادمة من الشمال والتي تتوقف عادة في الموانئ البرتغالية⁴ فتمكن بمساعدتها من الاستيلاء يوم الاثنين 20 رجب 585هـ/ 3 سبتمبر 1189م⁵ على مدينة شلب⁶ رغم دفاع أهلها ببسالة نادرة ولكنهم اضطروا إلى الاستسلام بعد أن قطع العدو الماء عنها⁷، وأصبح بذلك الطريق أمامه مفتوحاً لتهديد باقي ولايات الغرب الأندلسي مثل: مدينة ولبة⁸ ومدينة إشبيلية⁹.

- 1- خالد حموم: حركة الاسترداد المسيحي للأندلس في عصري المرابطين والموحدين 479-591هـ/1086-1195م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2016م، ص 366، 367.
- 2- أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، د ت، ص 358.
- 3- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني: عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، ط 2، مكتبة الخانجي، مصر، 1990م، ص 170.
- 4- أمبروسيو هويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تر: عبد الواحد أكيم، منشورات الزمن، ط 1، المغرب، 2004م، ص 331.
- 5- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ت 900هـ/1495م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط 1، مكتبة لبنان، لبنان، 1975م، ص 342؛ لكن بالمقابل نجد أن كل من ابن أبي زرع وابن الأثير والنويري يذكرون بأنه تم الاستيلاء على مدينة شلب في سنة 586هـ/1190م. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 219؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ص 1818؛ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت 733هـ/1333م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: حسين نصار، عبد العزيز الأهواني، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1463هـ، ص 331.
- 6- ابن الجزري (أبو عبد الله شمس الدين بن إبراهيم، ت 739هـ/1339م): المختار من تاريخ ابن الجزري المسى حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تح: خضير عباس محمد خليفة المنشداوي، دار الكتاب العربي، ط 1، لبنان، 1988م، ص 64.
- 7- عبد العزيز سالم وأحمد مختار عبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، لبنان، 1969م، ص 272.
- 8- أنظر: الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد، ت 560هـ/1166م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مع 1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2002م، ص 541، 542.
- 9- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 174.

كما شهدت الأندلس غارات متوالية شنها ألفونسو الثامن ملك قشتالة، فاستولى على حصن المنار¹، وتمكن من دخول رابنة، فقتل كل من اعترضه وأسر وسبي كل من كان بها، ووصلت حملته الغازية حتى قلعة جابر² وحصن شلبر، وكان ذلك في جمادى الآخرة 585هـ/ يوليو 1189م، وانصرف بعد حملته إلى طليطلة³، وعلى إثر هذه الأحداث توالى استغاثة الأندلسيين على الخليفة المنصور⁴، مما دفعه للتأهب لعبور الأندلس وإن كان قد تأخر تقريبا لخمسة أشهر⁵.

بعد اطمئنان الخليفة المنصور على استقرار الأوضاع في بلاد المغرب وإفريقية، بدأ يفكر في التوجه نحو الأندلس لرد اعتداءات النصارى⁶، بعث مخاطبات إلى ولاية الأندلس يأمرهم فيها بالاستعداد لاستقبال جيوش الموحدين وإعداد العدة للقتال، وخرج في 14 ذي الحجة 585هـ/ 23 جانفي 1190م من مدينة مراكش إلى رباط الفتح.

وفي أواخر شهر محرم من سنة 586هـ/ أوائل مارس 1190م، توجه المنصور بقواته من رباط الفتح إلى قصر المجاز⁷، أين أمر جيشه بالجواز إلى الأندلس، وبعد عبور جميع قواته، عبر المنصور البحر يوم الأحد 23 ربيع الأول 586هـ/ 1 ماي 1190م، ونزل بجزيرة طريف، ثم تحرك شمالا إلى أركش⁸، ومنها إلى قرطبة.

3. استرجاع مدينة شلب:

1- حصن المنار: قريب من مدينة لكه وهو منتهى الركن الثالث في الأندلس، وهو على ضفة البحر المحيط من الغرب والجوف وتتصل به كنيسة شانت ياقوب. الحميري(أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ت 900هـ/1495م): صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، دار الجيل، ط2، لبنان، 1988م، ص185.

2- قلعة جابر: حصن إشبيلية من الجنوب الشرقي. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص475.

3- ابن عذاري، المصدر السابق، ص203.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص511.

5- محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 2003م، ص141.

6- عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص275.

7- قصر المجاز: هو قرية القصر الصغير الواقعة على مضيق جبل طارق بين مدينتي سبتة وطنجة بتراب قبيلة أنجرة من إقليم تطوان، سعى كذلك لجواز جيوش المغرب منه إلى الأندلس، ويطلق عليه أيضا اسم قصر مصمودة. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص218.

8- أركش: حصن يقع على قمة كتلة صخرية مرتفعة تشرف على نهر وادي لكه، ويشكل معقل في غاية الحصانة، أبو الفداء(عماد الدين إسماعيل بن محمد ت 732هـ/1331م): تقويم البلدان، تج: رينود، البارون مالك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، 1830م، ص166؛ الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص536؛ ابن الدلاني(أحمد بن عمر، ت 478هـ/1085م): نصوص عن الأندلس، تج: عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، اسبانيا، دت، ص108.

بعد وصول المنصور إلى قرطبة "أمر السيد يعقوب ابن العم الأكبر أبي حفص بالتحرك من إشبيلية بجنده إلى شلب¹، وفي الثلاثين من جمادى الأولى 586هـ/ 5 جويلية 1190م، وصل الأسطول الموحي إلى مدينة شلب حاملا معه المعدات الحربية اللازمة لحصار المدينة، فنصبوا حولها المجانيق والآلات الحربية وشرعوا في قصفها²، لكن القوات الموحدية فشلت في افتتاح مدينة شلب، ولكنهم تمكنوا من إحراز النصر على الأسطول البرتغالي في معركة بحرية دارت بينهم، وغنموا عددا من القطع البحرية، وقتلوا بعض البحارة وأسروا آخرين³.

في هذه الأثناء بدأ رسل الممالك النصرانية تصل إلى الموحدين بقرطبة، فأرسل كل من ملك قشتالة وملك ليون⁴ إلى الخليفة المنصور يطلبون منه السلم وعقد الهدنة معه، فاستجاب لهم لأنه كان يرى بأن مصلحة المسلمين في افتراق كلمة الكفر وأن هذا سيجنبه قتال أعدائه مجتمعين⁵، وبعد توقيع هذه المعاهدات، قسم المنصور قواته إلى قسمين: فأسند قيادة القسم الأول إلى والي إشبيلية السيد أبو زكريا بن أبي حفص وأمره بالتوجه نحو الغرب، أما القسم الثاني فقادته الخليفة بنفسه وتوجه به نحو السهل الممتد على ضفاف نهر تاجة، وقام الجيشين بتدمير كل ما وجدوه في طريقهم من زروع وضياع، ثم التقوا شمال شنترين واتحدوا معا لمحاصرة قلعة طرش⁶، واضطرت حاميتها للاستسلام وغنم المسلمون كل ما وجدوه بداخلها ثم قاموا بتدميرها حتى سويت بالأرض وذلك لصعوبة الاحتفاظ بها كونها تقع في قلب مملكة البرتغال، ثم حاصر الخليفة قلعة طمان⁷ التي كانت مركزا لفرسان الداوية وخرب الموحدين كل ما حولها وضربوا حولها حصارا محكما لكن حصانة أسواره وشجاعة فرسان الهيكل جعلت أمر احتلاله أمرا

1- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 203-205.

2- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 205.

3- عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 277.

4- محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص 176.

5- لفي بروفنصال: مجموع رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية، معهد العلوم العليا المغربية، المغرب، 1941م، ص 222، 223.

6- قلعة طرش: تقع إلى الشمال الشرقي من شنترين ومن نهر التاجة، وتعد من أقوى القلاع البرتغالية حصانة آنذاك، وتقع على ربوة عالية يحيط بها خندق عميق ومزودة بحامية قوية من البرتغاليين، وهي مدينة موجودة حاليا بالبرتغال. محمد محمود النشار، المرجع السابق، ص 143.

7- قلعة طمان: تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة شنترين، ويرجع الفضل في تأسيسها للدونيا تريزا -والدة الملك ألفونسو هنريكيذ وجدة الملك سانشو- وسلمتها في عام 520هـ/ 1126م إلى جماعة رهبان فرسان الداوية لحماية تلك المنطقة، وتحتوي على سهل خصب من الأراضي. محمد محمود النشار، المرجع نفسه، ص 144.

متعذراً، أما حاكم إشبيلية فتوجه لحصار مدينة شلب غير أنه لم يتمكن من اقتحامها لمنعة تحصيناتها، وقوة حاميتها، وهكذا انتهت حملة المنصور التي استغرقت 43 يوماً دون تحقيق هدفها¹.

استغل يعقوب المنصور وجوده بإشبيلية فعمل على إعادة تنظيم شؤون الحكم في الأندلس، في الوقت نفسه أخذ يجهز جيوشه لاستعادة مدينة شلب²، وبعد استكمال استعداداته الحربية، خرج بقواته من إشبيلية في أول ربيع الآخر 587هـ/ 28 أبريل 1191م، وعبر بقواته نهر وادي يانة³ مستهدفا السيطرة على قصر أبي دانس نظراً لأهميته الحربية، وعندما وصلت قواته إلى المدينة، أمر العبيد والأتباع بردم الخندق الذي يحيط بالمدينة، في حين حاول الموحدون تسليق الأسوار باستخدام السلالم الخشبية لكنهم فشلوا فأوقف الخليفة الحرب لمدة ثلاثة أيام، حتى وصل الأسطول الموحد حاملاً آلات الحصار والمجانيق، التي تم تنصيبها حول المدينة.

وفي 15 جمادى الأولى/ 10 جوان من نفس السنة، أمر المنصور جنوده بالهجوم المكثف على المدينة، حتى تم إلحاق أضرار كبيرة بها أجبرت البرتغاليين في النهاية على الاستسلام وطلب الأمان، فأرسلهم الموحدون إلى إشبيلية، واستولوا على المدينة، وقام الخليفة بتنظيم شؤونها، وعين أبا بكر محمد ابن وزير واليا عليها، وترك بها حامية كبيرة⁴.

وسار بعد ذلك نحو لشبونة، فحاصر حصن قلماله⁵ الذي يعتبر خط الدفاع الأول عن لشبونة واستولى الموحدون على كل ما فيه من أثاث وأقوات وأسلحة والآت، ثم قاموا بهدمه⁶ وواصلوا زحفهم نحو

1- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 178.

2- سحر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي، ج 2، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1991م، ص 243، 244.

3- نهر وادي يانة: نهر كبير يصب في المحيط الأطلسي، ويسمى نهر الغور، لأنه يكون في موضع يحمل السفن، ثم يغور تحت الأرض، يمر في بدايته بقشتالة الجديدة وبقريّة يانة إلى قلعة رباح ثم يسير منها إلى حصن أرندة ومنه إلى ماردة ثم يمر بمدينة بطليوس ثم ينتهي جريانه إلى حصن مرتيلة حيث يصب في البحر المظلم. محمود شيت الخطاب: قادة فتح الأندلس، تر: محمد فاروق البطل، مج 1، مؤسسة علوم القرآن منار، ط 1، دمشق، 2003م، ص 94.

4- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 210، 211.

5- حصن قلماله: أصلها كلمة برتغالية، أوردها ابن عذاري باسم حصن قلماله أما الحميري باسم بلماله، وتقع بلماله على الضفة الجنوبية الشرقية لنهر تاجة، قبالة مدينة لشبونة وتعتبر إحدى القلاع المدافعة على مدينة لشبونة، لذلك استولى عليها ألفونسو هنريكز مباشرة بعد استيلائه على مدينة لشبونة عام 542هـ/ 1147م. ابن عذاري، المصدر نفسه، ص 211؛ الحميري، الروض المعطار، ص 343؛ محمد محمود النشار، المرجع السابق، ص 149.

6- ابن عذاري، المصدر نفسه، ص 211.

حصن المعدن¹ وهدموه أيضاً²، وبادر سكان الحصون المجاورة بإخلائها بعد ما عاينوه من قوة جيش الموحدین وصلابتهم³.

أما شلب هدف حملتهم الأساسية فقد توجه إليها المنصور مباشرة بعد الاستيلاء على حصن المعدن⁴، فوصل إليها يوم الخميس الثاني من جمادى الآخر 587هـ/ 26 يونيو 1191م، وطوق المدينة، وردم الخندق المحيط بها، ونصب المجانيق حول أسوارها، وشرع في ضربها. واستمر حصاره لها حتى يوم الأربعاء 15 جمادى من نفس السنة حتى تمكنوا من اقتحامها، ودخلها الموحدون بعد أن لبثت في أيدي البرتغاليين زهاء عامين، وعين المنصور ابن الوزير حاكماً عليها⁵، وتمكن بذلك المنصور من فتح مدينة شلب من تحرير معظم مدن غربي الأندلس⁶.

ثانياً: معركة الأرك

1. الوضع قبيل الأرك ونقض المعاهدة

1.1 الوضع قبيل الأرك

توقفت الحرب في الأندلس بضعة أعوام بعد استرجاع مدينة شلب ومرد ذلك إلى عدة أسباب:

- الهدنة التي وقعها الموحدون مع ملك قشتالة ألفونسو الثامن لمدة خمس سنوات⁷، وكذلك تجديد الهدنة مع مملكة ليون⁸.
- انشغال الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور بالقضاء على الفتن التي قامت في إفريقية⁹.
- تعرض الخليفة للمرض بمراكش، فنقل إلى فاس ومكث بها مريضاً لمدة 7 أشهر¹⁰، حتى خيف منه على حياته.

1- حصن المعدن: يقع جنوب نهر التاجه، قبالة مدينة لشبونة، وسمي بذلك لأن البحر يمتد عند سيحانه فيقذف بالذهب البتر (معناها فتات الذهب) إلى نحو ذلك الحصن، فإذا كان الشتاء قصده أهل البلاد فيخدمون بالمعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء. الإدريسي، المصدر السابق، مج 1، ص 547.

2- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 187.

3- محمد محمود النشار، المرجع السابق، ص 151.

4- سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 236.

5- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 329.

6- أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، دار صادر، لبنان، د ت، ص 411.

7- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 165.

8- محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص 176.

9- شوقي أبو خليل: الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحد، دار الفكر، سوريا، 1993م، ص 49.

10- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 165.

- الخلافات التي وقعت بين ملوك النصارى، ما حال دون تفكيرهم في القيم بغزوة مشتركة ضد المسلمين، وانشغلت البرتغال وليون بأمر قرار الحرمان الكنسي، كما انشغلت أراغون ونافاراً بالخلاف مع جيرانهم في فرنسا¹، كما حرص ملك قشتالة على عدم إثارة المسلمين ضده فيغيرهم بالسير إلى غزوه².

2.1 نقض الهدنة

غير أن أجواء السلم والهدنة لم تدم طويلاً، فبعد أقل من خمس سنوات، نقض ملك قشتالة ألفونسو الثامن الهدنة التي كانت بينه وبين الموحيدين³، وخرجت جيوشه في أواخر سنة 590هـ بحملة كبيرة قادها المطران مارتن دي بسيرجا، دمروا خلالها كل شئ بالنار والسيوف، "فانتسفت الغلات والكروم وقطعت أشجار الزيتون، وخربت الضياع والقرى، وسيقت الماشية، وسبى المسلمون العزل رجالاً ونساءً، وقتل قسم كبير منهم، وزحفت قوى من فرسان النصارى إلى أقصى جنوب الأندلس، وهم يتابعون العيث والتخريب"⁴، فتوالت كتب أهل الأندلس على المنصور زخا كالمطر تشير باشتداد وطأة العدو إلى مالا يطاق⁵، فعدل المنصور عن عزمه على الخروج إلى إفريقية وبدأ في التفكير صوب العبور نحو الأندلس⁶.

أما الملك القشتالي فلم يقتنع بما أحدثته هذه الغزوة، من تخريب ونهب وتدمير، فأراد أن يزيد في تحديه، فكتب رسالة⁷ إلى سلطان الموحيدين يهدده ويتوعده فيها⁸ ويطلب منه التنازل له عن بعض الحصون⁹، ويدعوه إلى القتال¹⁰، فلما وصل كتابه إلى المنصور غضب غضباً شديداً وأخذته غيرة الإسلام، وأمر بقرائه على الموحيدين وسائر الأجناد لإيقاظ الحماسة الدينية لديهم، كما خط على ظهر الكتاب قوله

1- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص81.

2- صالح الأشر: معركة الأرك 591هـ/1195م، دار الشرق العربي، لبنان، دت، ص49.

3- ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن إبراهيم، ت 681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تج: إحسان عباس، ج7، دار صادر، لبنان، 1977م، ص4.

4- يوسف أشباخ، المرجع نفسه، ج2، ص49.

5- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي (المنصور الموحيدي)، ج7، منشأة المعارف، مصر، 2005م، ص58.

6- ابن عذاري، المصدر السابق، ص217.

7- ابن خلكان، المصدر نفسه، ج7، ص6، 7.

8- البيهقي (أبو محمد عبد الله بن أسعد، ت 768هـ/1367م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط1، ج3، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997م، ص363.

9- ابن خلكان، المصدر نفسه، ج7، ص5، 6.

10- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص222.

عز وجل: (اِجْعَلْ لِّيْهِمْ فَلَائِنَ يَتَّبِعُهُمْ بَـجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)¹، وعبارة: "الجواب ما ترى لا ما تسمع"²، وختم من ديوان المتنبّي بقوله:
وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيُّ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَمَرَمُ

2. التأهب للمعركة:

1.2 الجبهة الموحدية:

عزم المنصور على الجهاد والعبور إلى الأندلس، وأمر الموحيدين وسائر الأجناد بالاستعداد للقتال، وكتب إلى سائر الأمصار يستنفر الناس للجهاد³، فاجتمع له جيش عظيم يضيق عنه الفضاء، بلغ تعداده حسب الذهبي مائتي ألف ما بين فارس وراجل⁴، وحسب ابن العماد الحنبلي فقد كان عدده مائة ألف بخلاف المتطوعة⁵.

بعد استكمال الاستعدادات بقصر المجاز، أخذ المنصور في إرسال جيوشه إلى الأندلس، وبعد عبور الجميع عبر الخليفة ومعه الفقهاء والعلماء والصالحون في 25 جمادى الآخرة 591هـ/ 1 جوان 1195م، ومكثوا في الجزيرة الخضراء يوما واحدا⁶، ثم استقر بإشبيلية لمدة أسبوعين⁷، وكانت خطته ترمي أولا إلى اختراق قلب إسبانيا وافتتاح طليطلة، عاصمة قشتالة، ثم يتجه شطر الممالك الأخرى ليقضي عليها بسهولة وسرعة⁸، ولكن بلغته الأخبار بأن عدوه حشد قواته ما بين قرطبة وقلعة رباح⁹، فخرج صبيحة يوم الخميس 11 من رجب إلى قرطبة واستراح بها ثلاثة أيام، ومنها اتجه بقواته ناحية قلعة رباح¹⁰.

2.2 الجبهة النصرانية:

- 1- سورة النمل، الآية رقم: 37.
- 2- ابن العماد، المصدر السابق، ج 6، ص 525.
- 3- السلوي، المصدر السابق، ج 2، ص 167.
- 4- الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت 748هـ/ 1347م): دول الإسلام، تح: حسن إسماعيل مروة، ج 2، دار صادر، ط 1، لبنان، 1999م، ص 100.
- 5- ابن العماد، المصدر نفسه، ص 500.
- 6- يوسف أشياخ، المرجع السابق، ج 2، ص 83.
- 7- الحميري، الروض المعطار، ص 27.
- 8- صالح الأشتري، المرجع السابق، ص 44، 45.
- 9- قلعة رباح: تقع في الغرب من طليطلة، مبنية على نهر أنه، وأرضها كريمة طيبة الزرع وزكية الطعام، ينتسب لها جماعة منهم عبد السلام الأزدي الرباعي. ابن الخراط (أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن، ت 581هـ/ 1186م): اختصار اقتباس الأنوار، تح: إيميليو مولينا، وخايننتو بوسك بيللا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، إسبانيا، 1990م، ص 141.
- 10- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 218.

شرع ألفونسو الثامن في التأهب للقاء الجيش الإسلامي منذ أن سمع بعبوره إلى الجزيرة الخضراء، فقام بجمع الكورتيس في مدينة كريون على عجل، واستدعى سائر أتباعه من الأمراء والأشراف بقواهم، وحشد كل ما استطاع من الجند¹، وانضم إليه فرسان الداوية وفرسان قلعة رباح وفروسية قشتالة بأكملها، وبعث إلى ملكي ليون ونافاراً يطلب منهم الاتحاد لمحاربة أعداء دينهم، فوعدها بالعون والسير إليه، لكنهما تحركا في كثير من البطء، حتى أخذ ملك قشتالة يشك في صدق نيتهما²، فانتظر أياماً في طليطلة حتى وافته الحشود ثم غادر مسرعاً نحو الجنوب، واخترق وادي يانة متجهاً نحو أراضي قلعة رباح وهو واثق من قوته وجاهزية جيشه.

لقد اختلفت المصادر في تقدير عدد قوات النصاري فابن أبي زرع وابن أبي دينار ذكرا بأن تعدادهم بلغ ثلاث مائة ألف فارس وراجل³، أما رواية الضبي فأوردت عددهم بـ 25 ألف فارس و200 ألف راجل⁴، وبلغت 240 ألفاً حسب الذهبي⁵، وأكثر من 100 ألف مقاتل فقط حسب أشباح⁶.

والراجح بل المؤكد هو أن تعداد جيش النصاري كان أكثر من تعداد جيش المسلمين، ويظهر ذلك من قول المراكشي (ت 647هـ/ 1250م): "أن ألفونسو الثامن جمع جموعاً لم يجتمع له مثلاً قط"⁷، ورأى ألفونسو الثامن أن يغير من أساليب القتال القديمة وأن يرسم خطة جديدة، تتلخص في تجنب الاشتباك مع المسلمين، وإبعادهم عن التحصن بالقلع ليرغمهم على الانسحاب لنفاذ المؤن أو لحلول الشتاء⁸.

3. وقائع المعركة

حشد ألفونسو الثامن قواته وأقام معسكره على مقربة من قلعة الأرك، معتمداً أن يلقي المسلمون بها وألا يسمح لهم بعبور الحدود إلى داخل أراضيه، وفي يوم الخميس 3 شعبان 591هـ/ 13 جويلية 1195م

1- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 199.

2- يوسف أشباح، المرجع السابق، ج 2، ص 84.

3- ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم، ت 1102هـ/ 1690م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط 1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ، ص 116.

4- الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى، ت 599هـ/ 1203م): بغية الملتبس في تاريخ أهل الأندلس، تج: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب، ط 1، مصر، 1989م، ص 66، 67.

5- الذهبي، دول الإسلام، ج 2، ص 100.

6- يوسف أشباح، المرجع نفسه، ج 2، ص 84، 85.

7- المراكشي (أبو محمد عبد الواحد بن علي، ت 647هـ/ 1250م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تج: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط 1، لبنان، 1998م، ص 201.

8- شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 57.

وصلت الجيوش الموحدية إلى حصن الأرك¹ وعسكرت على مقربة مرحلتين من الجيش القشتالي²، وعقد المنصور فور وصوله مجلساً جمع فيه أشياخ وقادة جيشه لمشاورتهم في وضع خطة المعركة³، واختص أهل الأندلس بمزيد من المشورة⁴ قائلاً لهم: "إن جميع من استشرته، وأن كانوا أولى بأس ومعرفة بالحرب، لكنهم لا يعرفون من قتال الفرنج ما تعرفونه أنتم، لتمرسكم بهم، وتمرسهم بكم، فابسطوا لي رأيكم فأني مصغٍ إليكم"، فأحالوه إلى كبير قادتهم أبي عبد الله بن صناديد.

ولما استنصحه المنصور أجابه: "بأن النصارى أهل خداع... ورأينا في مقاتلتهم أن تقدم لهم أمامك شيخاً من أشياخ الموحدين الموصوفين بالشجاعة... بجيوش الأندلس وحشودها وجميع من في عسكرك من العرب وزناته والأغزاز والمصامدة وسائر قبائل العرب من المتطوعة وغيرهم، وتعد له رايتك المنصورة فيقاتل بهذا العسكر المبارك عسكر العدو، وتعد أنت بجيوش الموحدين... في موضع خفي، فإذا ظفرنا بعدونا بففضل الله، وإن كان غير ذلك تكون أنت بعسكر الموحدين حماية للمهزمين..."⁵، فوافق الخليفة على هذه الخطة، وأعجب بهذا الرأي⁶، كما قام المنصور بتعيين كبير وزراءه أبا يحيى بن أبي حفص الهنتاتي قائداً عاماً للجيوش⁷، حيث شرع هذا الأخير في تنظيم الجيش الأول وقام بتقسيمه على حسب قبائله بشكل محكم ومضبوط، كان على النحو التالي:

- مقدمة الجيش: وتضم المتطوعة، وأميرهم أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص⁸، كذا أصحاب الرماح الطويلة، والرماة حملة النبال من الترك الغزية وأميرهم الفقيه أبو خزر يخلف بن خزر الأوربي.

1- الأرك (Al-Arc): سهل يعرف بمرج الحديد أو فحس الحديد، يقع شمالي قرطبة على مقربة من قلعة رباح، بنواحي بطليوس، على أحد فروع نهر وادي أنة، أول حصون الأذفونش بالأندلس، ويذكر عنان بأن ملك قشتالة بدا قبل هذه المعركة بقليل بإنشائه، وكان عندئذ نقطة الحدود بين قشتالة وأراضي المسلمين. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص12؛ المقري (أبو العباس أحمد بن محمد، ت 1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تج: إحسان عباس، مج1، دار صادر، لبنان، 1968م، ص443؛ المراكشي، المصدر السابق، ص201؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص8؛ صالح الأشر، المرجع السابق، ص54.

2- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص223.

3- السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص167.

4- ليلي أحمد النجار: المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي، دراسة تاريخية وحضارية، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، 1989م، ق2، ص375.

5- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص224.

6- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص84.

7- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص225.

8- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص329.

- قلب الجيش: ويضم قبيلة هنتاة وقائدهم أبو يحيى بن أبي حفص¹.
 - الجناح الأيمن للجيش: ويضم فرسان الأندلس والمقدم عليهم أبو عبد الله بن صناديد.
 - الجناح الأيسر للجيش: ويتكون من المصامدة وقبيلة زناتة وقبائل العرب الأخرى.
 وعلى هذا النحو تم تسليم الألوية، لكل أمير راية يتجمع من كان تحت أمرته حولها²، فتكون في مكانها الذي تم تحديده لها³.

في حين كان الجيش الذي تحت قيادة المنصور في المؤخرة بعيداً عن أنظار العدو، وضم العبيد، والجيش النظامي، وفرقة الاحتياط⁴.

قبل ابتداء أحداث المعركة الفعلية بعث الخليفة برسالة إلى جنده يقول فيها "اغفروا لي فإن هذا موضع غفران، وتغافروا فيما بينكم، وطيبوا نفوسكم، واخلصوا لله نياتكم" فقرأه عليهم أبو يحيى بن أبي حفص الهنتاتي فبكى الجميع وأعظموا ما سمعوه من سلطانهم⁵، ثم قام القاضي أبو علي بن حجاج وأمير العرب جرمون بن رباح، يخطبون في الجنود ويتلون الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد لتقوية قلوب المجاهدين وتحريضهم على الصبر والصمود أمام العدو⁶، منها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)⁷.

نشبت المعركة في ضحى يوم الأربعاء التاسع من شعبان 591هـ/19 جويلية 1195م⁸، بهجوم كتيبة كبيرة من جيوش العدو بلغ تعدادها 10 آلاف فارس⁹، مدججة بالحديد لرد الزحف الذي قمت به مقدمة الجيش الموحيدي باتجاه الربوة، فصمد المسلمون لها وصدوها، فانكفأ النصارى ثم أعادوا الهجوم مرة ثانية، واصطدموا بمقدمة الجيش الموحيدي لكنه ثبت أمامها، عندها حولت الكتيبة القشتالية هجومها نحو ميسرة الجيش الموحيدي، إلا أنهم تقهقروا مرة أخرى، ولكن هذه الحملة تمكنت من استنفاد كل قوى

1- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص226.

2- السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص168.

3- المصدر نفسه، ج2، ص169.

4- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص225.

5- سيد بن حسين العفاني: صلاح الأمة في علو الهمة، تج: محمد صفوت نور الدين وآخرون، مج6، مؤسسة رسالة، لبنان، دت، ص240.

6- ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص226.

7- سورة آل عمران، الآية رقم: 200.

8- تتفق جميع المصادر التاريخية على أن معركة الأرك كانت يوم الأربعاء التاسع من شعبان، باستثناء المراكشي قال إنها وقعت لثلاثة أيام خلينا من شهر شعبان. الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص100؛ الحميري، الروض المعطار، ص27؛ المراكشي، المصدر السابق، ص201.

9- السلاوي، المصدر نفسه، ج2، ص169.

العرب والبربر، وتطويق القلب من جهة اليسار، ثم عزز القشتاليون صفوفهم بقوى جديدة¹، واندفعت في حملتها الثالثة لاختراق قلب الجيش الموحيدي، فاقتتل الفريقان وحيي وطيس المعركة، حيث أبلى فيها الشيخ أبو يحيى بن أبي حفص البلاء الحسن، حتى استشهد هو وجموع من المتطوعة ومن قبيلة هنتاتة، وظل البقية صامدين ومستبسلين في القتال، وهكذا كانت الدائرة أولاً على المسلمين.

حسب النصارى أنهم بتحطيم قلب الجيش الموحيدي بأنهم قد اقتربوا من النصر، ولكن سرعان ما "أقبلت العرب والمتطوعة فأحاطوا بالكتيبة التي دفعت إلى الشيخ أبي يحيى، وزحفت زناتة والمصامدة وغمارة إلى الربوة التي فيها ألفنش وجموعه، فتوغل المسلمون في تلك الأوعار إليهم واشتد القتال واستحضر القتل في الكتيبة التي دفعت أولاً وانقضت عليهم العرب والمتطوعة وهنتاتة فطحنوهم طحنا، وانكسرت شوكة ألفونسو بهلاكهم إذ كان اعتمادهم ومعوله عليهم"².

لما دارت الدائرة على الفرنج، زحفت الجيوش الموحدية بقيادة الخليفة المنصور إلى ساحة المعركة، تحت زعقات الطبول والأبواق، وتكبيرات المجاهدين، فقال ألفونسو الثامن لمن حوله مرتاعاً: ما هذا؟ فقليل له: هذا المنصور قد أقبل بجيشه، وما كان يقاتلك طوال اليوم غير طلائع جيشه ومقدمته، "فقذف الله الرعب في قلوب الكافرين، ووالو الأدبار منهزمين، وعلى أعقابهم ناكسين، وتلاحقت بهم فرسان المجاهدين، يضربون وجوههم وأدبارهم، ويقتفون أثارهم..."³، حتى إذا وصلوا إلى حصن الأرك وأحاطوا به، وحاصروه دخلوه عنوة، وغنموا ما فيه، وهدموه⁴، وكان ألفونسو الثامن قد فر مع عدد قليل من جنده نحو طليطلة أذلة مقهورين⁵، وذكر المقرئ (ت 1041هـ/1631م) أن ألفونسو عندما وصل إلى طليطلة حلق شعر رأسه، ونكس الصليبان، وأقسم أن لا يقرب النساء، ولا يمتطي فرسا، حتى يثار لمعركة الأرك، ويوقع بالمسلمين⁶.

وهكذا هزم النصارى أقبح هزيمة، وانتصر المسلمون عليهم⁷، وجعل الله (كَلِمَةً الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةً اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا)⁸.

1- يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج 2، ص 86.

2- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 170.

3- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 228.

4- السلاوي، المصدر نفسه، ج 2، ص 170.

5- صالح الأشر، المرجع السابق، ص 79.

6- المقرئ، المصدر السابق، مج 1، ص 443.

7- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 1834.

8- سورة التوبة، الآية رقم: 40.

ودوت أخبار هذا النصر المدوي وشهرة الموحدين الحربية كافة أرجاء مملكة الموحدين والعالم الإسلامي¹، وبلغ سلطان دولتهم أوج العظمة والقوة بعد معركة الأرك².
خرج الخليفة بعد هذا الانتصار يطارد القشتاليين، فاستولى على قلعة رباح وحول كنيستها إلى مسجد صلى به المسلمون³، وواصل سيره في بلاد النصرارى يخرب المدن والقرى والحصون، ويغنم ويسبي ويقتل ويأسر حتى وصل جبل سليمان، ثم عطف راجعا وقد امتلأت أيدي المسلمين بالغنائم⁴، ثم عاد إلى إشبيلية ودخلها يوم 27 شعبان 591هـ/ 6 أوت 1195م، فأقبلت عليه الوفود من سائر البلدان مهتأة بالنصر، وامتدحه الشعراء، ومنهم الشاعر أبو العباس الجراوي الذي نظم قصيدة شعرية يمدح فيها الخليفة ويثني على هذا النصر المؤزر⁵.

4. نتائج المعركة على العدوتين الموحدية والنصرانية:

لقد أسفرت معركة الأرك عن هزيمة نكراء لجيوش النصرارى، اختلفت المصادر التاريخية في تقدير عدد القتلى والأسرى فيها، نجد في الجانب النصراني عددهم قد بلغ حسب ابن خلدون (ت 808هـ/ 1406م) وابن عذاري (ت نحو 690هـ/ 1295م) والحميري (ت 900هـ/ 1495م) وأشباخ 30 ألف قتيل⁶، أما عدد الأسرى فذكر ابن خلدون بأن المسلمين قد حاصروا في حصن الأرك 5 آلاف قشتالي⁷ بين صغير وكبير وذكر وأنثى، بينما ذكر المقرئ والذهبي وابن العماد الحنبلي بأن عدد قتلاهم وأسراهم وصل إلى 146 ألفا و30 ألف أسير دون توضيح أصناف الأسرى ومصيرهم⁸، أما ابن الأثير (ت 630هـ/ 1233م) فذكر 146 ألف قتيل و13 ألف أسير⁹، أما ابن كثير (ت 774هـ/ 1373م) فيقدرهم بـ 143 ألف قتيل و13 ألف أسير¹⁰، والدواداري ذكر بأن عدد القتلى 216 ألف صليبي¹¹، في حين أشارت رواية كل من ابن أبي زرع وابن

1- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، مكتبة الخانجي، ط1، مصر، 1980م، ص49.

2- شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص62، 63.

3- المراكشي، المصدر السابق، ص201.

4- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص229.

5- ابن عذاري، المصدر السابق، ص221، 222.

6- ابن عذاري، المصدر نفسه، ص220؛ الحميري، الروض المعطار، ص27؛ يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص87.

7- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص330.

8- المقرئ، المصدر السابق، مج1، ص443؛ الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص100.

9- ابن الأثير، المصدر السابق، ص1834.

10- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت 774هـ/ 1373م): البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحن التركي، ج16،

دار هجر، ط1، مصر، 1998م، ص667.

11- ابن أليك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله): كنز الدرر وجامع الغرر الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تح: سعيد

عبد الفتاح عاشور، ج7، د م ن، 1972م، ص127.

خلکان(ت 681هـ/1282م) والمراكشي إلى كثرة أعداد القتلى دون تقدير¹، أما عدد الأسرى وفق رواية ابن أبي زرع قد بلغت 24 ألف فارس². وفي ما يخص الجانب الموحدى، قد بلغ عدد شهدائه حسب السلاوى(ت 1314هـ/1897م) 20 ألفاً شهيد³.

أما ابن عذارى فقد قدر عدد من قتل نحو خمسمائة⁴، أما الحميرى فأشار أن عددهم دون خمسمائة⁵، ومهما تباينت الأرقام في قتلى المسلمين، فالمؤكد أن عدد الضحايا في صفوف المسلمين كان أقل بالمقارنة مع المسيحيين الذي كان مرتفعاً جداً، ويرجع صالح الأشرى ذلك إلى أن الموحدين من عادتهم أنهم يؤثرون قتل من يحاربونهم من المشركين على أسرهم، وهذا هو سبب كثرت قتلى النصارى في معركة الأرك⁶.

كما غنم المسلمون من جراء هذه المعركة العديد من الدواب والخيام والأموال والأسلحة، فيذكر ابن كثير بأنهم حصلوا على 143 ألف خيمة، و46 ألف فرس و100 ألف بغل، و100 ألف حمار⁷، أما مقدار ما غنمه المسلمون فقد تراوح تعداده بحسب ما نقله كل من ابن الأثير والسلاوى⁸، من الخيل 46 ألف إلى 80 ألف، و100 ألف من البغال، و400 ألف من الحمير، في حين يذكر المقرى بأنهم حازوا أيضاً على جواهر وأموال لا تحصى، قسمها المنصور بين المسلمين بمقتضى الشرع⁹.

بالإضافة إلى ما حققه المسلمون من خسائر في صفوف أعداءهم، فإنهم تكمنوا من إعادة الهبة للجيش الموحدى في الأندلس¹⁰، وكسر حدة الموجة النصرانية¹¹، وإيقاف حركة الاسترداد المسيحي مدة من الزمن، والمحافظة على استمرار الوجود الإسلامى بالأندلس، بعد أن كادت تسقط معظم المدن الأندلسية

1- المراكشي، المصدر السابق، ص 201.

2- يضيف ابن أبي زرع أن المنصور قد امتن على جميع من أسره وأطلق سراحهم دون فداء، فعز ذلك على جميع الموحدين، واعتبروها سقطة من سقطات الملوك. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 228.

3- السلاوى، المصدر السابق، ج 2، ص 171.

4- ابن عذارى، المصدر السابق، ص 220.

5- الحميرى، الروض المعطار، ص 27.

6- صالح الأشرى، المرجع السابق، ص 74.

7- ابن كثير، المصدر السابق، ج 16، ص 667.

8- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 1834.

9- المقرى، المصدر السابق، مج 1، ص 443.

10- كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادى في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، د ت، ص 75.

11- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الأسرة، الأردن، 1992م، ص 439.

بيديهم¹، وقد أسهمت هذه المعركة في إحداث صراعات شتى بين ليون ونافار من جهة وبين قشتالة من جهة أخرى، حيث ألقى عليهم ألفونسو الثامن مسؤولية الهزيمة²، وهكذا غرقت اسبانيا النصرانية من جديد في الحروب الأهلية.

كما أظهر هذا الانتصار مدى كفاءة المنصور، حيث استطاع قيادة جيوشه قيادة سليمة محكمة³، وتحليه بأداب الحرب الإسلامية، وتجسيده لمبدأ التسامح ويظهر هذا في حسن تعامله مع أسرى العدو حيث أثر أن يمنحهم جميعا الحرية دون فداء، بدلا من اللجوء إلى القسوة في معاملتهم⁴.

وكان من نتائج موقعة الأرك كذلك أن واصل الخليفة الموحي أعمالا عسكرية أخرى، ففي سنة 592هـ/ 1195م، خرج إلى غزواته الثانية، فاستولى خلالها على الكثير من الحصون ووصل حتى أحواز طليطلة، فحاصرها وخرّب زرعها، وأحرق أراضيها⁵، ثم عاد في السنة الموالية أيضا، وتوغل في بلاد الروم⁶، "فضاقت الأرض على الفرنج، وذلوا، واجتمع ملوكهم، وأرسلوا يطلبون الصلح فأجابهم إليه بعد أن كان عازما على الامتناع مُريدا لملازمة الجهاد إلى أن يفرغ منهم، فأتاه خبر علي بن إسحاق الملقب الميورقي من إفريقية، فترك عزمه وصالحهم مدة خمس سنين، وعاد إلى مراكش"⁷.

5. ركائز الانتصار والتمكين في موقعة الأرك الكبرى:

يرجع انتصار الموحدين في معركة الأرك إلى جملة عوامل وهي كالتالي:

تحقيق الوحدة الوطنية: يعتبر أول عامل من عوامل نصر المسلمين في معركة الأرك الكبيرة، فقد عمل الخليفة الموحي على توحيد الجبهة الداخلية، وتحقيق وحدة الشمال الإفريقي (من مدينة سلا على الأطلسي إلى مدينة برقة في المغرب) بالقضاء على المؤامرات والفتن والثورات⁸، حتى يتمكن من تأمين خط ظهره وينصرف بأنظاره نحو الأندلس، وهذا يدل على عمق تفكيره الاستراتيجي، وبعد نظره العسكري.

1- أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية، ط2، بيروت، 1988م، ص119.

2- هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، ط1، الأردن، 1984م، ص268.

3- المراكشي (أبو محمد عبد الواحد بن علي، ت 647هـ/ 1249م): وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، 1997م، ص119، 120.

4- فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، مصر، 2005م، ص338، 339.

5- محمد زنيبر، المرجع السابق، ص252.

6- المراكشي، المعجب، ص202.

7- أشار المراكشي بأن مدة الهدنة كانت عشر سنوات. المراكشي، المصدر نفسه، ص202.

8- صالح الأشتر، المرجع السابق، ص89.

تعبئة الجيوش وتجهيزها للجهاد: عمل المنصور أثناء تحضيره للمعركة، على استنفار الحشود من كل أرجاء الدولة الموحدية للجهاد¹، وحرص على توفير المؤن للجيش، وتزويده بكافة وسائل الانتقال وتهيئة الطرق لها² مصداقا لقوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)³.

الأخذ بمبدأ الشورى والابتعاد عن الاستبداد بالرأي: فنجد أن الخليفة أبو يوسف المنصور قد استشار كافة أشياخ ورؤساء وقادة جيشه واختص بمشورته قادة الأندلس "أبا عبد الله بن صناديد" لمعرفة بمكائد الإسبان وأساليب قتالهم⁴، وهذا من الهدي النبوي فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا إلى النبي عليه الصلاة والسلام: (اسْتَرْشِدُوا الْعَاقِلَ تَرْشِدُوا وَلَا تَعْصُوهُ فَتَنْدُمُوا)⁵.

الحض والحث على الجهاد في سبيل الله والتشجيع المستمر: فكان المنصور يأمر الناس بالاستغفار وتجديد النيات وتعمير القلوب بالتقوى والإخلاص والثبات والصبر⁶، كما قام الخطباء بالتحريض على الجهاد، فأبلغوا وأحسنوا⁷، مما ساهم في رفع الروح المعنوية للجنود⁸، وتقوية قلوبهم بآيات الذكر الحكيم⁹، لقوله تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ)¹⁰.

1- محمد بن حسن بن عقيل بن موسى: استجابات إسلامية لصرخات أندلسية، دار الأندلس الخضراء، ط1، السعودية، 1994م، ص77.

2- ليلى أحمد النجار، المرجع السابق، ص383.

3- سورة الأنفال، الآية رقم: 60.

4- بطرس البستاني: معارك العرب في الأندلس، مؤسسة الهنداوي، مصر، 2013م، ص53.

5- "والحديث عند الخطيب كما في ميزان الاعتدال 2/219. وقال الذهبي: غير صحيح. قال الألباني: موضوع. السلسلة الضعيفة (617)"; (السيوطي) أبو الفصل عبد الرحمن بن أبي بكر، ت 911هـ/1506م): الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج7، دار الفكر، لبنان، 2011م، ص357.

6- ابن عذاري، المصدر السابق، ص219.

7- أبا الخيل محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين: جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين، دار أصداء، ط1، السعودية، 1998م، ص293.

8- أحمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، ط1، مصر، 2000م، ص190.

9- محمد جمال محمود الهوبي: أسباب النصر والتمكين للدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، فلسطين، 2017م، ص182، 185.

10- سورة الطلاق، الآية رقم: 2-3.

تخير القادة الأكفاء المخلصين وتقسيم الجيوش بحسب الانتماء القبلي: حيث قتال كل قبيلة تحت رايها ساهم في إنجاح الخطة الموضوع¹، بالإضافة إلى أن حسن اختيار المنصور لقادته، ساهم في تحقيق النصر².

التخطيط الاستراتيجي: ويتضح هذا في خطة الحرب التي وضعها ابن صناديد، التي أوضحت أهمية عنصر المفاجأة والتمويه على مسرح العمليات، حيث اقتضت خطة الموحيدين تقسيم الجيوش إلى قسمين، ونقل الخليفة إلى الاحتياطي، وتقديم أبو يحيى بن أبي حفص³، ويعود سبب نجاح هذه الخطة لأنها بقيت سرية بين المنصور وابن صناديد⁴، فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اسْتَعِينُوا عَلَىٰ إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكَتْمَانِ لَهَا)⁵.

كما يمكننا إرجاع هذا النصر إلى تدارك المنصور للأخطاء التي وقع فيها والده في غزوتي وبذة وشنترين⁶، إلى جانب قدرات الجيش الموحيدي الذي اتقن رسم الخطط العسكرية وتنفيذها⁷، كما اختار التوقيت المناسب⁸، فالجبهة النصرانية كانت تعاني من التفكك بسبب الخلافات بين قادتها⁹، بالإضافة إلى حصول الموحيدين على مساعدة الكونت بيدرو فرنانديز دي كاسترو والذي كان من أشد أعداء القشتاليين¹⁰.

قائمة المصادر والمراجع:

(1) المصادر:

- 1- السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 188.
- 2- صالح الأشر، المرجع السابق، ص 98.
- 3- فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 339.
- 4- صالح الأشر، المرجع نفسه، ص 96.
- 5- الطبراني(أبو القاسم سليمان بن أحمد، ت 360هـ/971م): المعجم الأوسط، تج: أبو معاذ طارق بن عوض الله، أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم، ج 3، دار الحرمين، مصر، 1995م، ص 55.
- 6- خالد حموم، المرجع السابق، ص 394.
- 7- أحمد عودات وآخرون: تاريخ المغرب والأندلس، دار الأمل، مصر، 1989م، ص 123.
- 8- خالد حموم، المرجع نفسه، ص 394.
- 9- علي أحمد: تاريخ الأندلس السياسي والحضاري في العصور الوسطى، الهيئة العامة السورية، سوريا، 2022م، ص 166.
- 10- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1999م، ص 725.

- ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم، ت 1102هـ/1690م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ.
- ابن عذارى (أبو عبد الله أحمد بن محمد، ت نحو 690هـ/1295م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين-، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الثقافة، ط1، المغرب، 1985م.
- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ت 774هـ/1373م): البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحن التركي، ج16، دار هجر، ط1، مصر، 1998م.
- أبو الفداء (إسماعيل بن محمد، ت 732هـ/1331م): تقويم البلدان، تح: رينود، البارون ماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، 1830م.
- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد، ت 560هـ/1166م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2002م.
- ابن أبيك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله): كنز الدرر وجامع الغرر الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، ج7، د م ن، مصر، 1972م.
- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله، ت 726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، المغرب، 1972م.
- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد، ت 630هـ/1233م): الكامل في التاريخ، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، د.ت.
- ابن الجزري (أبو عبد الله شمس الدين بن إبراهيم، ت 739هـ/1339م): المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تح: خضير عباس محمد خليفة المنشدادي، دار الكتاب العربي، ط1، لبنان، 1988م.
- ابن الخراط (أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن، ت 581هـ/1186م): اختصار اقتباس الأنوار، تح: إيميليو مولينا، وخايننتو بوسك بيللا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، اسبانيا، 1990م.
- ابن الدلائي (أحمد بن عمر، ت 478هـ/1085م): نصوص عن الأندلس، تح: عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، اسبانيا، د.ت.
- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، ت 1089هـ/1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ج6، دار ابن كثير، ط1، سوريا، 1986م.
- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، ت 808هـ/1406م): تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ج6، دار الفكر، سوريا، 2000م.

- ابن خلكان(أبو العباس أحمد بن إبراهيم، ت 681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تج: إحسان عباس، ج7، دار صادر، لبنان، 1977م.
- الحرضي(يحيى بن أبي بكر بن محمد، ت 893هـ/1488م): غربال الزمان في وفيات الأعيان، تج: محمد ناجي زعبي العمر، ج1، مطبعة زيد بن ثابت، سوريا، 1985م.
- الحميري(أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ت 900هـ/1495م):
- 1- الروض المعطار في خبر الأقطار، تج: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، لبنان، 1975م.
- 2- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، دار الجيل، ط2، لبنان، 1988م.
- الذهبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت 748هـ/1347م):
- 1- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تج: بشار عواد معروف، مج12، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 2003م.
- 2- دول الإسلام، تج: حسن إسماعيل مروة، ج2، دار صادر، ط1، لبنان، 1999م.
- الزركشي(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، ت 883هـ/1478م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تج: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966م.
- السلاوي(أبو العباس أحمد بن خالد ت 1314هـ/1897م): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تج: جعفر الناصري، محمد الناصري، ج2، دار الكتاب، المغرب، 1954م.
- السيوطي(أبو الفصل عبد الرحمن بن أبي بكر، ت 911هـ/1506م): الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج7، دار الفكر، لبنان، 2011م.
- الصفدي(أبو الصفاء خليل بن أبيك، ت 724هـ/1324م): الوافي بالوفيات، تج: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، مج29، دار إحياء التراث، لبنان، 2000م.
- الضبي(أبو جعفر أحمد بن يحيى، ت 599هـ/1203م): بغية الملتبس في تاريخ أهل الأندلس، تج: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب، ط1، مصر، 1989م.
- الطبراني(أبو القاسم سليمان بن أحمد، ت 360هـ/971م): المعجم الأوسط، تج: أبو معاذ طارق بن عوض الله، أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم، ج3، دار الحرمين، مصر، 1995م.
- العليبي(أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد، ت 928هـ/1522م): التاريخ المعتمد في أنباء من غير، إشراف: نور الدين طالب، مج3، دار النوادر، ط1، سوريا، 2011م.
- القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي، ت 821هـ/1418م): مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تج: عبد الستار أحمد فراج، ج2، عالم الكتب، لبنان، د.ت.
- المراكشي(أبو محمد عبد الواحد بن علي، ت 647هـ/1250م):
- 1- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تج: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1998م

- 2- وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، 1997م.
- المقري(أبو العباس أحمد بن محمد، ت 1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، مج1، دار صادر، لبنان، 1968م.
- المكناسي(أحمد بن القاضي، ت 960هـ/1025م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، المغرب، 1973م.
- النويري(أحمد بن عبد الوهاب، ت 733هـ/1333م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: حسين نصار، عبد العزيز الأهواني، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1463هـ.
- اليافعي(أبو محمد عبد الله بن أسعد، ت 768هـ/1367م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط1، ج3، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997م.

(2) المراجع:

- أبا الخيل محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين: جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين، دار أصداء، ط1، السعودية، 1998م.
- أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، دار صادر، لبنان، د.ت.
- أحمد عودات وآخرون: تاريخ المغرب والأندلس، دار الأمل، مصر، 1989م.

- أحمد مختار العبادي:
- 1- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، د.ت.
- 2- صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، ط1، مصر، 2000م.
- أسعد حومد: محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية، ط2، بيروت، 1988م.
- أمبروسيو هويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تر: عبد الواحد أكميز، منشورات الزمن، ط1، المغرب، 2004م.
- بطرس البستاني: معارك العرب في الأندلس، مؤسسة الهنداوي، مصر، 2013م.
- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، مكتبة الخانجي، ط1، مصر، 1980م.
- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الأسرة، الأردن، 1992م.
- خالد حموم: حركة الاسترداد المسيحي للأندلس في عصري المرابطين والموحدين 479-591هـ/1086-1195م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2016م.
- راغب السرجاني: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ج1، مؤسسة اقرأ، ط1، مصر، 2011م.
- سحر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي، ج2، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1991م.
- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي (المنصور الموحدي)، ج7، منشأة المعارف، مصر، 2005م.
- سيد بن حسين العفاني: صلاح الأمة في علو الهمة، تح: محمد صفوت نور الدين وآخرون، مج6، مؤسسة رسالة، لبنان، د.ت.
- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1999م.
- شوقي أبو خليل: الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي، دار الفكر، سوريا، 1993م.
- صالح الأشر: معركة الأرك 591هـ/1195م، دار الشرق العربي، لبنان، د.ت.
- العباس بن إبراهيم السَّمَلالي: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ج10، المطبعة الملكية، ط2، المغرب، 1993م.
- عبد العزيز سالم وأحمد مختار عبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، لبنان، 1969م.
- علي أحمد: تاريخ الأندلس السياسي والحضاري في العصور الوسطى، الهيئة العامة السورية، سوريا، 2022م.
- فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (المغرب والأندلس)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، مصر، 2005م.

- كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، د.ت.
- لفي بروفنصال: مجموع رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية، معهد العلوم العليا المغربية، المغرب، 1941م.
- لي تورنو روجر: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تر: أمين الطيبي، شركة المدارس، ط2، المغرب، 1998م.
- ليلى أحمد النجار: المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي، دراسة تاريخية وحضارية، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، 1989م.
- محمد بن حسن بن عقيل بن موسى: استجابات إسلامية لصرخات أندلسية، دار الأندلس الخضراء، ط1، السعودية، 1994م.
- محمد بن محمد المشرفي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، تح: إدريس بوهليلة، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الاجتماعية، ط1، المغرب، 2005م.
- محمد جمال محمود الهوبي: أسباب النصر والتمكين للدولة الموحدية في عهد المنصور يعقوب بن يوسف الموحدي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، فلسطين، 2017م.
- محمد زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، كلية الآداب، ط1، المغرب، 1999م.
- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني: عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1990م.
- محمد محمود النشار: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية في الأندلس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 2003م.
- محمود شيت الخطاب: قادة فتح الأندلس، تر: محمد فاروق البطل، مج1، مؤسسة علوم القرآن منار، ط1، دمشق، 2003م.
- هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، ط1، الأردن، 1984م.